

لثة لأهنت إسرائيل [2]

تضعف. وإلحاح الميليشيات اليمينية ذات القيادة المارونية في طلب التسلح لم يتوقف. ففي أكتوبر من عام 1968 أبلغ قيادي كتابي القائم بالأعمال الأميركي أن الحزب قد يتقدم بطلب تسليح لميليشيا الكتائب، وأن للحزب قدرة قتالية بعدد 5000 رجل وقوة كوماندوس بعدد يراوح بين 50 و70 (ص. 37). وأكد القائد الكتائبي أن للحزب ما يكفي من السلاح الخفيف، لكنه يحتاج إلى «توحيد معايير التسليح» وإلى سلاح ثقيل. لكن التقرير أوضح أن الحكومة الأميركية لن تلي الطلب الكتائبي. حتى النائب الشمعوني، فضل الله تلحوق طالب الحكومة الأميركية بسلاح لمواجهة جنبلاط. (كان هذا في زمن كان فيه الشيوعيون اللبنانيون يصرون فيه على «النضال الديمقراطي» الصرف).

نائب رئيس البعثة الأميركية بسلاح خفيف لـ «حماية المسيحيين». وفي لقاء في السفارة، أدان الجميل تحلي الحكومة الأميركية عن أصدقائها في لبنان، فيما حذر فضل الله تلحوق (الذي قدم طلباً هو الآخر للتسلح) من أخطار تهديد لبنان بسبب عدم تلبية طلبيات التسليح. لكن موقف السفير الأميركي، وفق المداولات في داخل الإدارة الأميركية، بدأ بالتغير لمصلحة تسليح «المسيحيين». لكن المسؤول الأميركي تالكوت سيلي (عمل في ما بعد سفيراً في دمشق وبادر للاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية في السبعينيات، مخالفاً تعليمات كيسنجر) رفض فكرة السفير وحث على إقناع الزعماء الموارنة بانتهاج الاعتدال والتعايش مع المسلمين.

تدخلاً إسرائيلياً على التدخل الأميركي المباشر في لبنان. وفي موازاة المفاوضات التي أدت إلى اتفاقية القاهرة، قامت الحكومة الأميركية بالاستعانة بتاجر

لكن شارل حلو كان يتواصل سراً مع الإسرائيليين، كما أخبر أبا إيمان الحكومة الأميركية في شهر أيلول. وفي رسالة سرية ومباشرة وجهها الرئيس اللبناني إلى إسرائيل، قال لهم إنه «يتفهم المشكلة التي يُشكلها الفدائيون ضد إسرائيل، لكن الحكومة لا تستطيع أن توقف التسلسل كلياً» (ص. 58). وعندما وصل الجواب الإسرائيلي إلى حلو، ومفاده أن الحكومة الإسرائيلية ستستخدم «الإجراءات الدنيا لحماية مواطنيها»، وصفه بأنه «يظهر تطوراً إيجابياً في الموقف الإسرائيلي». وقد أخبرت الحكومة الإسرائيلية الحكومة الأميركية أن «لبنانيين مرموقين» كانوا يتواصلون معها سراً وأنهم «يرحبون باعتداءات إسرائيلية على قواعد الفدائيين بين الحين والآخر».

بعد العدوان الإسرائيلي على مطار بيروت في ديسمبر عام 1968 الذي كان فيه إسكندر غانم قائد منطقة بيروت، وقد تلقى تحذيرات قبل الاعتداء من أجل حماية المنشآت المدنية بما فيها المطار (وغانم هذا كان هو الرجل نفسه الذي لامه صائب سلام على تخاذله في اعتداء نيسان 1973 - عندما كان قائداً للجيش - واغتيل قادة المقاومة في فردان، ما أدى إلى استقالة سلام بسبب رفض سليمان فرنجية صرفه من قيادة الجيش، أو محاسبته على أقل تقدير) فقد زاد من قلق الحكومة الأميركية على استقرار النظام اللبناني الحليف. لكن الحكومة الأميركية حولت الاعتداء الإسرائيلي الإرهابي على لبنان إلى مناسبة لتشجيع التفاوض وتبادل الرسائل بين الحكومة اللبنانية والحكومة الإسرائيلية. ووجه ليفي أشكول رسالة إلى الحكومة اللبنانية نوه فيها بالسلوك «التعاوني» (ص. 41) للحكومة اللبنانية (مع العدو) على مدى عشرين عاماً، لكنه حذر من مغبة من أي اعتداء من لبنان على إسرائيل.

وكان شارل حلو، من دون علم رئيس حكومته ومجلس النواب، يسعى إلى تدخل غربي أو نشر قوات من الأمم المتحدة في الجنوب اللبناني لحماية حدود الكيان الصهيوني من العمليات الفدائية (لكن إسرائيل هي التي رفضت الفكرة التي كان ريمون إدة من دعواتها العلنية).

لكن النيات التخريبية والفتنوية للفريق اليميني تبدت في أوائل عام 1969، عندما طلب كميل شمعون مساعدة عسكرية أميركية (لحزبي الكتائب والأحرار) من أجل إسقاط حكومة رشيد كرامي عبر الإضرابات والتظاهرات (لكن طلب السلاح يتعدى فعل التظاهرات، وقد رفض الديبلوماسي الأميركي طلب شمعون هذا - حسب الوثيقة). وتقدم حزب الكتائب بطلب مماثل في نفس الشهر. وقد طلب شارل حلو من السفير الأميركي ثني الكتائب والأحرار عن خططهم وأنها يمكن أن تؤدي إلى معركة قد يخسرونها وقد تطيح أيضاً «التوازن الطائفي» في البلد. وحسب ما ورد في تلك الوثائق، فإن موقف رشيد كرامي آنذاك لم يعارض الطلب من الدول الخليجية (عبر راعيها الأميركية) التأثير في الفدائيين لوقف نشاطهم من لبنان، وإن كان يخشى إعلان ذلك. (ص. 56).

وفي شهر حزيران 1969 طالب الجميل وشمعون (مرة جديدة) السفير الأميركي بتسليح لميليشياتهم، كذلك تقدم شمعون بطلب رسمي من

العدو للقرى من نتاج تلك العمليات). وعندما صعد العدو الإسرائيلي من غاراته على لبنان في الأشهر الثلاثة الأولى من عام 1970، لم تتوقف الاتصالات الرسمية المباشرة بين الحكومة اللبنانية وحكومة العدو. ونقل (مطران مقيم في القدس من أصل لبناني) (لم يرد اسمه في الوثائق)، وكان يلعب دور الرسول بين حكومة العدو ورئيس الجمهورية اللبنانية تهديداً من موسى دابان بتحويل لبنان إلى صحراء. لكن شارل حلو ردّ على التهديد المباشر بالود والاحترام لإسرائيل (وقال إنه كان متحفظاً في وده خشية تسرب مضمون الرسالة التي بعثها إلى دابان). وفي رسالته، أوضح حلو أن لبنان يلعب في الماضي والحاضر دور «شرطي إسرائيل»، مع أنه لا يستطيع أن يعترف بذلك. وأضاف حلو أن تدمير لبنان سيكون بمثابة تدمير إدارة شرطة حيفا. وزاد حلو عاملاً طائفيًا يحمل تعاطفاً مع الصهيونية، إذ قال «إنه ليست في مصلحة إسرائيل تدمير الدولة الديمقراطية غير الإسلامية الوحيدة وذات التنوع الديني في المنطقة. وإن اللبنانيين بالرغم من مشاكل تعتري تفهمهم، فإنهم على الأقل يفهمون مشاكل إسرائيل، وأن هذا قد يشكل رصيماً قيماً لإسرائيل عندما تقرر أن تندمج. وليس فقط أن تكون في الشرق الأوسط».

السياسة

في أزمة نيسان 1969، هنأت الحكومة الأميركية رئيس الجمهورية شارل حلو على استعمال القوة لقمع المظاهرين. وزاد شارل حلو من رغبته في طلب تدخل عسكري أميركي (أو «آخر»)، لكن السفير الأميركي أبلغ ميشال خوري، مبعوث حلو الشخصي، أن عليهم ألا يتوقعوا تدخلًا عسكرياً أميركياً في لبنان (ليس مباشراً، على الأقل). عندها، أجابه خوري بأنهم تلقوا نفس الجواب من فرنسا، ما يوحي أن حلو كان قد طلب تدخلًا عسكرياً فرنسياً ضد الفدائيين واليسار في لبنان. لكن حلو لم يكتفِ بالأجوبة الفرنسية والأميركية، إذ هو أرسل في سؤال عاجل إلى السفير الأميركي سائلاً: «في حالة القلاقل المدنية التي قد تكون فوق طاقة قدرات قوى الأمن اللبنانية المحدودة، ما هو احتمال المساعدة الخارجية لمساعدته

العدو للقرى من نتاج تلك العمليات). وعندما صعد العدو الإسرائيلي من غاراته على لبنان في الأشهر الثلاثة الأولى من عام 1970، لم تتوقف الاتصالات الرسمية المباشرة بين الحكومة اللبنانية وحكومة العدو. ونقل (مطران مقيم في القدس من أصل لبناني) (لم يرد اسمه في الوثائق)، وكان يلعب دور الرسول بين حكومة العدو ورئيس الجمهورية اللبنانية تهديداً من موسى دابان بتحويل لبنان إلى صحراء. لكن شارل حلو ردّ على التهديد المباشر بالود والاحترام لإسرائيل (وقال إنه كان متحفظاً في وده خشية تسرب مضمون الرسالة التي بعثها إلى دابان). وفي رسالته، أوضح حلو أن لبنان يلعب في الماضي والحاضر دور «شرطي إسرائيل»، مع أنه لا يستطيع أن يعترف بذلك. وأضاف حلو أن تدمير لبنان سيكون بمثابة تدمير إدارة شرطة حيفا. وزاد حلو عاملاً طائفيًا يحمل تعاطفاً مع الصهيونية، إذ قال «إنه ليست في مصلحة إسرائيل تدمير الدولة الديمقراطية غير الإسلامية الوحيدة وذات التنوع الديني في المنطقة. وإن اللبنانيين بالرغم من مشاكل تعتري تفهمهم، فإنهم على الأقل يفهمون مشاكل إسرائيل، وأن هذا قد يشكل رصيماً قيماً لإسرائيل عندما تقرر أن تندمج. وليس فقط أن تكون في الشرق الأوسط».

السياسة

في إعادة الاستقرار؟» (ص. 50). لكن جواب السفير خيب آماله مرة أخرى. وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة الأميركية تخبّ فيه آمال الزعماء الموارنة (وحلفائهم) في طلب تدخل عسكري أميركي، كان الرئيس الأميركي، ريتشارد نيكسون، يعقد اجتماعاً لمجلس الأمن القومي لدراسة إمكانية القيام بتدخل عسكري أميركي مباشر على غرار تدخل 1958 في لبنان (ص. 50). وأخبره وزير دفاعه أن القوات الأميركية جاهزة للقيام بمهمة كهذه. لكن ستوكر يستنتج أن الحكومة الأميركية تخلت عن فكرة التدخل إلا في حالات يتعرّض فيها «المسيحيون أو الأجانب» لأخطار أو لترحيل الأميركيين. لكن حلو لم يتوقف بالرغم من الإجابات الأميركية عن تكرار طلب المساعدة أو طلب التدخل، لأن ذلك يقوّيه، ولو من باب «الخيار الأخير». وبناءً على إلحاح حلو، بدأت الحكومة الأميركية بالبحث في سيناريوهات تدخل عسكري من نوع إرسال الأسطول السادس. وعلق السفير الأميركي على موقف حلو بأنه كان يفكر «كـرئيس مسيحي» يسعى لحماية المسيحيين. وكانت الحكومة الأميركية تحث حلو على طلب قوة تدخل تابعة للأمم المتحدة للحد من نشاط الفدائيين، لكن حلو طالب أيضاً بقوة تدخل أميركية تمهّد لتدخل الأمم المتحدة. وبحثت الحكومة الأميركية مع مدير «الأثروا» في إمكانية لعب المنظمة «الإنسانية» دوراً أمنياً ضد الفدائيين، لكن الاعتراض القوي من مقر الأمم المتحدة قضى على الفكرة الأميركية.

طلب فؤاد شهاب أن تزيد قوات الاحتلال الإسرائيلي من دورياتها على الحدود مع لبنان لمنع الفدائيين من الحركة (مروان طحطح)



واجتمع كميل شمعون وبيار الجميل في شهر نيسان مع السفير الأميركي ضمن الحملة المستمرة في طلب المساعدة (لكن شمعون تحفظ في اللقاء لعلمه من الجميل برفض الطلب من قبل أميركا). لكن شمعون ذهب أبعد من ذلك، إذ اقترح على السفير الأميركي أن تقوم الحكومة الإسرائيلية بتوجيه تحذير مباشر وعلني إلى لبنان حول نشاط الفدائيين «لعل ذلك يؤثر في المسلمين المتطرفين للفدائيين». وبعد اللقاء مع شمعون، التقى السفير الأميركي مع فؤاد شهاب وسأله رأيه في أن تقوم الحكومة الإسرائيلية بتحذير لبنان لتخويف مؤيدي العمل الفدائي فيه. وطلب شهاب مهلة 24 ساعة للرد، ثم أخبر السفير بأن التحذير الإسرائيلي هذا سيساعد (ص. 53). لكن السفير الأميركي امتنع عن نقل الطلب اللبناني خوفاً من تأليب الرأي العام العربي ضد إسرائيل والحكومة الأميركية. ولم يكتفِ فؤاد شهاب بهذا، لا بل طلب أن تزيد قوات الاحتلال الإسرائيلي من دورياتها على الحدود مع لبنان لمنع الفدائيين من الحركة (سبق فؤاد شهاب جماعة 14 آذار في تقديم النصح للعدو الإسرائيلي في عدوانه). وعبرت الحكومة الإسرائيلية، من خلال سفارتها في واشنطن، عن «احترامها» لشهاب. وفي هذا السياق، وبعد أن فقد شارل حلو الأمل في تدخل عسكري أميركي لمصلحة النظام الطائفي الحاكم في لبنان، قرّر التفاوض مع الفدائيين.